لقاءات رمضان ١٤٣٤هـ

اللقاء الخامس عشر: تفسير الآيات ٦١ – ٦٩ من سورة الإسراء

أ.أناهيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تُنشر في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

– منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

– هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

/http://www.muslimat.net

– الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضا.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ها هو قد انتصف بنا هذا الشهر الكريم، وحملنا فيه ما حملنا من أسباب زيادة الإيمان، ودخلنا فيه ما دخلنا من الطاعات ابتغاء وجه الله ورجاء لقائه وهو عنا راضٍ، وفي كل ما فعلنا سواء من جهة الأسباب أو من جهة الأعمال فإنا في كل ذلك نرجو من الله أن يقبلنا، وهو سبحانه وتعالى إنما يتقبل من المتقين، وهذا الأمر لابد أن يكون شاغلاً لعباد الله المؤمنين، **فإن القبول للعمل سببٌ لتعظيمه مهما قلّ، ولبركته على العبد مهما كان هذا العمل**، والأعمال ليس كما يظنّ أصحابها، أنها بعددها، وإنما يتقبل الله من المتقين المؤمنين الذين عملوا من الصالحات ما أرادوا به وجه الله، فمن أقبل بجدّ واجتهاد على العبادة وتقرب بأنواع الطاعات وشتى القُربات، لا يعني هذا أن يعتقد ويجزم لنفسه بالقبول.

- يقول علي رضي الله عنه: "كونوا لقبول العمل أشدّ اهتمامًا من العمل، ألم تسمعوا قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ المائدة: ٢٧".
- وقد ورد كثير في كلام السلف يدل على ذلك، فمن ذلك ما جاء عن أبي الدرداء أنه قال: "لئن أستيقن أن الله تقبل مني صلاة واحدة أحبّ إلي من الدنيا وما فيها".
- ومما قاله علي أيضاً رضي الله عنه: "لا يقِلّ عمل مع تقوى، وكيف يقِلّ ما يُتقبَّل ؟!".
- ومما يُحْكَى عن ابن عمر رضي الله عنه: أنه كان جالسًا مع ابنه سالم رضي الله عنهم جميعًا، فدخل سائل عليهم فأمر ابن عمر ابنه سالم أن يعطي هذا السائل دينارًا فأعطاه، فلما انصرف السائل قال ابنه: تقبّل الله منك يا أبتاه، فقال ابن عمر: لو علمتُ أن الله تقبّل مني سجدة واحدة أو صدقة درهم لم يكن غائبٌ أحبّ إلي من الموت! تدري ممن يتقبّل الله؟ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

- وقد ذُكر في سيرة عامر بن عبدالله العنبري، أحد كبار التابعي، أنه لما حضرته الوفاة بكى، قالوا له: ما يبكيك؟ فقد كنت وكنت، – أي من الأعمال الصالحة – قال: يبكيني أني أسمع الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ المائدة: ٢٧.

المعنى أن هذا هاجس علينا أن نشتغل به، **قبول العمل أو رده**، علينا أن نعمل الأعمال نحتسبها على الله، انفعني بها في ظلمة القبر، انفعني بها يوم ألقاك، ومن أراد أن ينفعه الله بهذه الأعمال في تلك المواطن العظيمة، فعليه أن يجتهد في طلب القبول، فمن اجتهد في طلب القبول، أحسن إلى نفسه، ومن غره الشيطان فأشغله بالعمل عن طلب قبوله، فقد أفلح الشيطان في إشغاله وإبعاده عن المراد!.

وربما يخطر للبعض أن في هذا الزمن – زمن رمضان – الشياطين مصفدة، ونقول :

كما ورد في الحديث أن مردتهم هم المصفدين[1]، هذا أمر.

أمر آخر أن الناس ابتُلوا بالشياطين وبوسوستهم في كل زمان، واعتادوا على هذا التفكير بحيث أنه حتى لو حُبست مردة الشياطين يبقى الإنسان على التفكير الذي لقنه هو الشيطان.

واليوم نتدارس **في سورة الإسراء ما يجب أن نحمله في قلوبنا تجاه عدونا** الذي يشغلنا عن المهمات، ويصرف قلوبنا عن الأمور العظام، ويضيق علينا ما شرح الله به الصدور.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾

[1] رواه النسائي في سننه، وقال الألباني صحيح.

وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴾ الإسراء: ٦١ – ٦٩.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ وهذه بداية الخلق ﴿ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ اعترض بأي شيء؟ ﴿ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾.

نفهم عقيدتنا فيه من خلال الآيات، نقرأ في التفسير ونعلق على ما نستطيع، نسأل الله أن يسددنا ويشرح صدورنا وييسر لنا العلم.

يقول الشيخ السعدي رحمه الله:

"ينبّه تبارك وتعالى عباده على شدّة عداوة الشيطان وحرصه على إضلالهم".

إذن هناك عدوّ شديد العداوة، شدّة عداوة الشيطان، وهذه العداوة الشديدة أورثت الحرص على إضلال بني آدم. وبداية هذا الأمر قال:

"وأنه لما خلق الله آدم استكبر عن السجود له و { قَالَ } متكبرا: { أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا } أي: من طين وبزعمه أنه خير منه لأنه خلق من نار. وقد تقدم فساد هذا القياس الباطل من عدة أوجه".

ويقصد بذلك أن دعوى الشيطان أنه خير منه لأنه خُلق من نار دعوى باطلة، فإن النار فيها من الطيش ما فيها، فلا تدلّ النار على الخيرية، لكن لما تنظر في الآيات، الله عزّ وجلّ يأمره بالسجود مع من أمَر، فيكون جوابه الرفض زاعماً أنه خير منه!.

"فلما تبيّن لإبليس تفضيل الله لآدم {قَالَ} مخاطبا لله:"

وانظر لهذا الخطاب الذي فيه سوء أدب!

"{أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ } أي: لأستأصلنهم بالإضلال ولأغوينهم".

أي هذا الذي كرمت علي وفضلت علي بأن أمرتني بالسجود له وقد خلقتني من نار سيكون حالي معه أن أحتنك ذريته.

"أي لأستأصلهم بالإضلال ولأغوينهم".

(**أحتنكهم**) يحتنكهم بمعنى يستولي عليهم بالإغواء، والعرب تقول: أحتنك الجراد الزرع، أي: تستأصل الزرع بإحناكه، أي تُفسده.

المعنى أن الإحتناك هو الإستيلاء على الشيء وأخذه كله.

فهو يقول: ﴿ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ ﴾ أي: يريد أن يستولي عليهم، سيستولي عليهم بأي شيء؟ بالإغواء!.

"{ إلا قَلِيلا } عرف الخبيث أنه لا بد أن يكون منهم من يعاديه ويعصيه".

إذن ذكرى هذه الأحداث تُفيدنا جداً، تدلّ على إضمار المكر للذرية، ﴿ أَرَءَيۡتَكَ ﴾ الله عزّ وجلّ يأمره بالسجود فيقول:﴿ ءَأَسۡجُدُ ﴾ مستبعد أن يفعل هذا الفعل ﴿ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينًا ﴾ ، ﴿أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمۡتَ عَلَىَّ ﴾ سأفعل به، وهذا جمع بين إساءة الأدب مع الله، وبين إظهار العداوة لمن يحبه الله، وهذا من إبليس إعراباً عما في ضميره.

وأظهر **شرط هذا الفعل** أن يؤخره الله ليوم القيامة من أجل أي شيء؟ **ليعم بإغوائه جميع أجيال ذرية آدم**، فلا يكون هناك جيل آمن من إغوائه.

وهذا لابد أن يكون **موافقاً لحكمة الله**، فإن الله حكيم، لما سلط علينا هذا الخبيث ابتلانا به، وهو توعد بأن يحتنك هذه الذرية، وكأنه سيستولي عليها إغواءً.

"فقال الله له: { اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ } واختارك على ربه ووليه الحق، { فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا } أي: مدخراً لكم موفراً جزاء أعمالكم".

﴿ ٱذۡهَبۡ ﴾ بمعنى: **امض لشأنك الذي اخترته**، وخلى بينه وبين مراده، وهذه التخلية بين الشيطان وبين مراده الذي هو شرّ نوع من أنواع الخُذلان.

وليُعلم أن خُذلان الله عزّ وجلّ للعبد له صور، من أعظمها: أن يُمكن العبد من المعصية، ثم إن أبليس ابْتُلِي بأن أعطي الحياة فلا يموت إلى النفخة الأولى، **وهذا ليس كرامة له**، وإنما خذلان من الله له، ومَن تبعه وأطاعه فله مع إبليس جهنم جزاءً موفوراً مدخراً لكم موفراً جزاء على أعمالكم.

"ثم أمره الله أن يفعل كل ما يقدر عليه من إضلالهم".

هذه الأمور الآن الخمسة التي سيأمره بها هذا من **باب التهديد والإستدراج لا من باب التكليف**، لأنها كلها معاصي والله لا يأمر بها.

ماذا سيفعل؟

"{وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ } ويدخل في هذا كل داع إلى المعصية".

والمعنى أن الله عزّ وجلّ يمكّنه من هذا، ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ ﴾ أي **استعجل، استذل، استخف، أزعج من استطعت أن تستفزه منهم**، أي من بني آدم، بصوتك داعياً لهم إلى معصية الله، وهذا يدخل فيه كل داع إلى المعصية، فاللهو واللعب والمزامير والغناء ودعاة الباطل كل هؤلاء داخلين في صوت الشيطان، وأعظم صوت له الوسوسة، فهي من أعظم أفعالهِ التي تُفْسِد على الخلق حياتهم، فإبليس شُبِّه بأنه قائد جيش، ماذا يفعل؟ يستفز من استطاع من بني آدم بصوته.

﴿ وَأَجْلِبْ ﴾ **مشتقة من الجَلَبَةَ**، وهو الصياح، فقائد الجيش إذا أراد جمع الجيش نادى فيهم للنفير أو للغارة أو الهجوم، ﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ ﴾ والخيل معلوم ولكن ليسوا هم المقصودون هنا، إنما المقصود به من يركبهم من أجل أن يصل إلى مقاصده، وهم الجُند الذين سيكونون للشيطان، إذن أجلب عليهم ونادهم وافعل ما تستطيع من أجل ذلك.

ورجلك بمعنى: أنك تفعل هذا الإستفزاز والصياح بكل ما تستطيعه من الأدوات، فالرجال تستخدمهم من الجن والإنس كل من ركب أو مشى، فعلى ذلك سيكون له أعوان خيل ورجال من الجن والإنس وهم كل من مشى في معصية ودعا إليها.

يقول: "{ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ } ويدخل فيه كل راكب وماش في معصية الله فهو من خيل الشيطان ورجله.

والمقصود أن الله ابتلى العباد بهذا العدو المبين الداعي لهم إلى معصية الله بأقواله وأفعاله".

أي أن هذا العدو **ابتلينا به وله أعوان**، وأعوانه يكونون من بني آدم أو من الجن نفسهم.

"{وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَولادِ} وذلك شامل لكل معصية تعلقت بأموالهم وأولادهم".

كل معصية نوع من أنواع مشاركة إبليس لنا في أموالنا وأولادنا، المعاصي استجابة لدعوته، فهو بمثابة السماح له بالمشاركة.

ضرب الشيخ أمثلة على ذلك فقال:

"من منع الزكاة والكفارات والحقوق الواجبة".

المعصية هنا المنع، يمنع الزكاة والكفارات والحقوق الواجبة، فالشيطان يشاركنا بالأموال بأن يمنعنا من أنقوم بالزكاة أو يكون علينا كفارات فيمنعها منا ويُكسلنا عنها، وهناك أموال لهم حق معلوم فيها من حيث النفقة فيغفلنا عنها ويصرفنا ويثقلها علينا.

وأما من جهة الأولاد يقول:

"وعدم تأديب الأولاد وتربيتهم على الخير وترك الشر".

أي نكسُل عن تربية أولادنا، الكسل عن التربية نوع من أنواع مشاركة الشيطان لنا فيهم.

نكسُل عن تربيتهم على الخير وعن ردهم عن الشر، نكسل عن هذا، فتكون النتيجة أن الشيطان يشاركنا في أبنائنا ،والحق أننا نستعين بالله على آداء الواجبات وتربية الأبناء.

"وأخذ الأموال بغير حقها أو وضعها بغير حقها أو استعمال المكاسب الردية".

كل هذا من الصور، إما أن نأخذ أموال بغير حق أو ننفقها في غير مكانها هذا من مشاركة الشيطان لنا، أو استعامل المكاسب الرديئة، بحيث الإنسان يطمع في المال فيغش المسلمين أو يُخادعهم.

وهذا الذي نراه على جميع الأصعدة والمستويات من استعمال المكاسب الرديئة إنما هو بمشاركة الشيطان، فإذا نظرتِ للتجارة نظرتِ إلى خداع المسلمين وغشهم بهذه الإعلانات، وإذا نظرتِ حتى مدارس التحفيظ والقائمين على البرامج الموجهة للصغار أو الكبار، نجد أن هناك مكاسب رديئة تُقصد من البرامج، يعني يُقصد من البرنامج المال الذي وراءه، ولا يُؤخذ المال من أجل إقامة البرنامج، إنما يقام البرنامج من أجل أخذ مال الناس، والفرق طبعا كبير بين الحالين، أنا أريد نفع الناس ولا أستطيع هذا إلا بكوادر وأماكن أؤجرها وبأموال أنفقها، علي تفاصيل تنفع الصغير أو الكبير، وكهرباء أدفعها إلى آخره إلى آخر التفاصيل، إذن لابد أن آخذ للبرنامج مال، أخذ مال من أجل أن يقيم البرنامج، غير أن يقيم البرنامج من أجل أن يأخذون أموال الناس ومن ثم يعدهم وعوداً كثيرة ولا يحققها، وتجد الناس يجتمعون يتدربون كيف يأخذون أموال الناس! وهذا كثير موجود سواء كان في التجارة أو في التعليم، أو في غير ذلك من المرافق، وإذا أردت شاهدًا على ذلك فانظر شركات الاتصال فإن فيها من بذل الجهد وإنفاق أموال الناس ما يفهمك أن الشيطان معينًا لهم، فهذه من المكاسب الرديئة.

"بل ذكر كثير من المفسرين أنه يدخل في مشاركة الشيطان في الأموال والأولاد ترك التسمية عند الطعام والشراب والجماع".

فلو تركت التسمية شارك الشيطان مباشرة. **"وأنه إذا لم يسم الله في ذلك شارك فيه الشيطان كما ورد فيه الحديث".**

إذن سيستفز وسيجلب وسيشارك وسيعد.

"{وَعِدْهُمْ} الوعود المزخرفة التي لا حقيقة لها ولهذا قال: {وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا} أي: باطلا مضمحلا كأن يزين لهم المعاصي والعقائد الفاسدة ويعدهم عليها الأجر".

وهذا باب عظيم من **أعظم أبواب الشيطان**، ألا وهي **البدعة**، فإنك ترى عجباً، باطل، معصية تُمارس على أنها دين، فترى الراقصين في جنبات المساجد، وترى الناس في الحج في أرض مِنى التي هي من الحرم، الحرم المُعظم المُقدس المُطهر الذي أُمِرنا بتطهيره تجتمع في بعض المخيمات، يجتمع الرجال مع النساء يرقصون يقولون: قُربة وعبادة! فما نقول إلا والشيطان قد وعدكم الغرور وجعل المعصية في عيونكم طاعة.

ومثل هذا ما تسمع من إسالة دماء النفس وضربها وجلدها، يقولون قربة إلى الله، **والتعدي على الدماء من المسائل العظيمة**، فكيف لما يتعدى الإنسان على نفسه؟! إن قتل النفس محرم وإيذاءها محرم، فسبحان الله، كيف تتحول المعاصي الكبيرة عند هؤلاء عبادة وقربة إلى الله، والفطر تَمُجُهَا ولا تقبلها، لكن الشيطان غرهم غرورا، وعدهم وعودا.

ومثلها في العقائد الفاسدة، فإنك ترى خيل الشيطان ورَجْلِه واضحة في ما تدعو إليه الماسونية العالمية من عقائد عجيبة وتجعل كل أهل ديانة ينشقون زيادة على انشقاقهم، فتسمع هنا وتسمع هنا فِرَقْ لا تخطُر على البال، واعتقادات يرفضها الصغير قبل الكبير، لكن هذا كله من تزيين الشيطان، فيزين لهم المعاصي والعقائد الفاسدة ويعدهم عليها الأجر، أي يقومون بالمعصية على أنها قربة ويأخذون الأجر عليها، فتجد مزامير الشيطان في المساجد على أن هذا ذكر، وتجدهم ويرقصون على أن هذا قربة طاعة عندهم هذا مثل الصلاة، وتجدهم والعياذ بالله يقعون في الزنا على أن مثل هذا طاعةً وعبادة، أمر يفوق تصور الشخص ذَا فطرة سوية، أي العبد ذا فطرة سوية لا يتصور هذا الأمر، ولكنه موجود، والحقيقة أنه لا داعي لا القراءة عنه و لا البحث فيه.

نسأل الله مقلب القلوب أن يثبت قلبنا على دينه ومصرف القلوب أن يصرف قلوبنا على طاعته.

المهم أنه ماذا يفعل بهم يزين لهم المعاصي والعقائد الفاسدة ويعدهم عليها الأجر لأنهم يظنون أنهم على حق، وأعظم ما في ذلك **الشرك**، فإنك ترى في أنحاء العالم الإسلامي أنواع من التوجهات لغير الله

والتمسح بالقبور، ويرون أن هذه طاعة ويبغضون بغضًا عظيمًا من يمنعهم من ذلك أو يُحرج عليهم هذا الأمر.

"{وَعِدْهُمْ} الوعود المزخرفة التي لا حقيقة لها ولهذا قال: { وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا } أي: باطلا مضمحلا كأن يزين لهم المعاصي والعقائد الفاسدة ويعدهم عليها الأجر لأنهم يظنون أنهم على الحق، وقال تعالى: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلا }.

ولما أخبر عما يريد الشيطان أن يفعل بالعباد وذكر ما يعتصم به من فتنته وهو عبودية الله والقيام بالإيمان والتوكل".

إذن نحن عندنا أمور ثلاثة :

١. أن نكون عباد
٢. وأن نقوم بالإيمان
٣. والتوكل على الله

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾

"فقال: { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ } أي: تسلط وإغواء بل الله يدفع عنهم –بقيامهم بعبوديته– كل شر ويحفظهم من الشيطان الرجيم ويقوم بكفايتهم.{وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلا } لمن توكل عليه وأدى ما أُمر به".

نحن دورنا أن نتمسك بحبل الله، نطيع الله نستجيب لأمر الله لا نخون الله ولا رسوله نتقي الله، هذه كلها عبوديات، ونؤمن بالله ونؤمن بأن الله ابتلانا بهذا الشيطان، ولا نبقى في حال حِيرَةً ماذا يحصل في نفوسنا وقتما نشعر ببغض الحق وانشراح صدورنا للباطل، ما تختار في ذلك إنه من فعل الشيطان، يوسوس لك يجلب عليك بخيله ورجله وأنت تستجيب، فإذا أتاك مثل هذا، تمسك بحبل الله وطع الله وتوكل على الله واطلب كفاية الله، وآمن أن الله من حكمته أن ابتلانا به.

فهذه العقيدة العظيمة تُصْرِف عن الإنسان كثير من الوساوس، فإن الشيطان وسيلته الوسوسة، وغرضه الفتنة، فيزين المفاسد ويُفظّع المصالح، يجعل المصالح الشرعية شيء بعيد وصعب، والله وصفه هنا بحال من يغزو قوماً بجيش عظيم من فرسان ورَاجِلَةَ ماشية على الأرض، فهل استعديتُم لهذه الحرب؟ أجلب عليهم، أُغزُهم، وصيح كمن يصيح في جيشه! وهذا التسليط، تركه يفعل هذا بلاء علينا، نسأل الله عزّ وجلّ أن يعيننا على ما ابتلانا.

فنحن نؤمن أن الله حكيم، ونؤمن أن هذا الاختبار العظيم الذي نحن فيه يحتاج إلى قوة إيمان، ونؤمن أننا لن نفلح ولن نصلح إلا بتمام التوكل عليه، وهنا التوكل يتمثل بطلب العون منه، نعتمد عليه أن يعيننا على طاعته وعبادته، فإذا كان هذا من العبد يكون الإنسان قد أحسن لنفسه.

تأتي الآيات التي بعدها تذكر صورة من الصور التي **يمارس فيها الشيطان أفعاله علينا**، فالله عزّ وجلّ يذكرنا بنعمائه.

"يذكر تعالى نعمته على العباد بما سخر لهم من الفلك والسفن والمراكب وألهمهم كيفية صنعتها، وسخر لها البحر الملتطم يحملها على ظهره".

إذن الله عزّ وجلّ يذكرنا بنعمته، النعمة هنا تتمثل بما سخره لنا من الفلك والسفن والمراكب، ألهمنا علمنا كيفية صناعتها، وسخر لهذه السفن البحر، البحر ماذا يفعل؟ يحملها، يحمل المراكب على ظهره، لماذا؟

"لينتفع العباد بها للركوب والحمل للأمتعة والتجارة". نركب عليها ونحمل عليها ونتاجر.

"وهذا من رحمته بعباده فإنه لم يزل بهم رحيما رؤوفا يؤتيهم من كل ما تعلقت به إرادتهم ومنافعهم".

هذا من رحمته بعبادة ﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ كل ما تعلقت به إرادتهم ومنافعهم بشيء يعلمهم إياه ويعطيهم إياه.

"ومن رحمته الدالة على أنه وحده المعبود دون ما سواه أنهم إذا مسهم الضر في البحر فخافوا من الهلاك لتراكم الأمواج ضل عنهم ما كانوا يدعون من دون الله في حال الرخاء من الأحياء والأموات، فكأنهم لم يكونوا يدعونهم في وقت من الأوقات لعلمهم أنهم ضعفاء عاجزون عن كشف الضر".

إذن لما يركبوا البحر الذي هو نعمة الله يكون في هذه النعمة أيضاً رحمة من الله، أين هي الرحمة؟ بأن يذكرهم بربهم ومعبودهم، فما يكون اغتنامهم لهذه النعمة فقط للدنيا، إنما ينتفعوا منها في عودهم إلى ربهم، وفي إنابتهم وتوحيدهم، ليتبين لهم أن ليس لهم رب إلا الله.

ماذا يحصل؟ كانوا يدعون في الرخاء أحياء أو أموات، لما أتى هذا الوقت وحصل لهم ومسهم الضر في البحر.

"صرخوا بدعوة فاطر الأرض والسموات الذي تستغيث به في شدائدها جميع المخلوقات، أخلصوا له الدعاء والتضرع في هذه الحال. فلما كشف الله عنهم الضر ونجاهم إلى البر".

هنا تأتي وسيلة الشيطان ويأتي فعله.

"ونسوا ما كانوا يدعون إليه من قبل وأشركوا به من لا ينفع ولا يضر ولا يعطي ولا يمنع".

إذن احتال عليهم الشيطان لما وصلوا إلى البر، نجاهم الله إلى البر نسوا ما كانوا يدعون.

"وأعرضوا عن الإخلاص لربهم ومليكهم، وهذا من جهل الإنسان وكفره فإن الإنسان كفور للنعم، إلا من هدى الله فمن عليه بالعقل السليم واهتدى إلى الصراط المستقيم، فإنه يعلم أن الذي يكشف الشدائد وينجي من الأهوال هو الذي يستحق أن يفرد وتخلص له سائر الأعمال في الشدة والرخاء واليسر والعسر".

أنت عشت موقف كيف يأتي الشيطان موقف فتصدقه!، وهذه الحال يعني حال الإنسان الذي منّ الله عليه بالعقل، كانت متمثلة في **عكرمة رضي الله عنه**.

عكرمة رضي الله عنه لما ذهب فاراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة، هرب فركب في البحر ليدخل على الحبشة، فجاءتهم ريحٌ عاصف، فقال القوم بعضهم لبعض: إنه لا يغني عنكم إلا أن تدعوا الله وحده، فقال عكرمة رضي الله عنه في نفسه: والله لئن كان لا ينفع في البحر غيره فإنه لا ينفع في البر غيره، فقال: اللهم لك علي عهد لئن أخرجتني منه لأذهبن فأضعن يدي في يده فلأجدنه رؤوفاً رحيماً، فخرجوا من البحر فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وحَسُنَ إسلامه رضي الله عنه وأرضاه.

إذن عكرمة رضي الله عنه يمثل هذا الرجل الذي كان ممن مَنَّ الله عليه بالعقل السليم واهتدى إلى الصراط المستقيم .

"أما من خُذل ووُكل إلى عقله الضعيف فإنه لم يلحظ وقت الشدة إلا مصلحته الحاضرة وإنجاءه في تلك الحال.

"فلما حصلت له النجاة وزالت عنه المشقة ظن بجهله أنه قد أعجز الله ولم يخطر بقلبه شيء من العواقب الدنيوية فضلا عن أمور الآخرة".

وهذا كله بسبب تسليم الإنسان عقله للشيطان.

الآن تنجون من البحر يردكم، ماذا تظنون في الله؟ كيف تعتقدون هذا في الله؟.

"ولهذا ذكرهم الله بقوله: {أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا} أي: فهو على كل شيء قدير إن شاء أنزل عليكم عذابا من أسفل منكم بالخسف أو من فوقكم بالحاصب".

أي الرياح التي تحمل الحجارة الصغيرة التي تكون سببًا في هلاككم.

أي أنتم تعاملون من؟! فهذا مما يُتعجب منه من بني آدم، أنهم لا يعرفون مَن هو الله، ولا يقدرون قدره سبحانه وتعالى.

"وهو العذاب الذي يحصبهم فيصبحوا هالكين".

فهذا الحاصب ماذا يفعل بهم؟ **"يحصبهم فيصبحوا هالكين، فلا تظنوا أن الهلاك لا يكون إلا في البحر".**

هذا ظن عجيب ليس له وجه، أن يظنوا أنهم إذا نجوا من البحر انتهت قدرة الله عليهم! وهذا يُلقنهم هو الشيطان، فهذه الريح الحاصب التي ترمي بالحصباء الصغيرة يمكن أن تحصبهم فتميتهم.

"وإن ظننتم ذلك فأنتم آمنون من {أَنْ يُعِيدَكُمْ} في البحر {تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ} أي: ريحا شديدة جدا تقصف ما أتت عليه".

يعني أن ظننتم أنكم تأمنون في جانب البحر مايخسف بكم البر بعد أن عدتم إلى البر، مايخسف بكم البر، أو من السماء يرسل عليكم حاصباً أي ريح شديدة حاصباً ترمي بالحصباء الصغار تذهب بكم، أو إذا أمنتم من هذا يعيدكم مرة أخرى إلى البحر، تغفلون فتنسون فتعودون إلى البحر ففي عودتكم هذه تأتيكم ريح شديدة تقصفكم.

"{فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا} أي: تبعة ومطالبة فإن الله لم يظلمكم مثقال ذرة".

هذه الحال العجيبة الذي يمكن أن يدخل بها الإنسان من نسيان قدرة الله، وتصور أنه لما ينجو من أمر أي يكون في ضيق ويدعو الله ويفكر فقط في خروجه من الضيق فإذا خرج يظن أنه أعجز الله، **هذا من المكر في التعامل مع الله**، ماذا يظن الإنسان، أيظن أنه لو عاد إلى بيته أو عاد إلى البر أو عاد المكان الذي يأمن به أو خرج من بيته أو خرج من ضيقة أو خرج من السجن أو خرج من الضائقة المالية أنه في غنى عن ربه؟!

ما أفظع ما يلقيه الشيطان في قلوب الخلق عن ربهم، إننا في غايه الفقر تام إليه، ما يأتي زمن في حياتنا نستطيع أن نقول أننا مستغنين عنه، إن الله معنا في الشدائد ومعنا في الرخاء، هو الذي يحفظنا وهو الذي ويتولانا ويرشدنا، لكن إذا استولى الشيطان على الإنسان، إذا أحتنك الشيطان هذا الإنسان فكأنه وضع، احتنك هذه كلمة عظيمة لو فهمتها جيداً ستتصور أن حنك الإنسان كأن الشيطان وضع عليه لجاما فاحتنكه! وهذا من معانيها في اللغة، فيضعون على حنك الفرس اللجام فيتحكمون فيه غاية التحكم.

فالشيطان الآن كأنه يحتنك الإنسان، يضع على حنكه اللجام ويحركه، فمن أعظم ما يحرك الشيطان به الإنسان **سوء ظنه بربه**.

ومن سوء الظن:

- تصور الاستغناء عن الله.
- المكر في التعامل مع الله.

يبقى مستغنياً قلبه معلق بغير الله، فيوقظه الله بموقف من المواقف، فيدخل في هذا الموقف يشعر بالشدة يطول دعاؤه ونداؤه واستغاثته، فإذا كان عاقلاً رشيداً ينفض عنه حال الشيطان كما فعل عكرمة رضي الله عنه، ويدخل إلى طريق الرحمن، ويعرف فقره الدائم في كل حال، وإذا استولى عليه الشيطان مكر، ما أن ينتهي الحال الذي هو فيه إلا ويظنّ أنه مستغن عن ربه، إذا خرجت من الأزمة المالية تتصور أنك ما تدخل في غيرها؟! إذا ردّ عليك محبوبك ما تظن أنه يذهب إلى غيره أو به؟! كلها ظنون فاسدة يلقيه الشيطان.

نعوذ بالله أن يحتنكنا الشيطان، نلجأُ إلى ربنا الرحمن، نسألُه أن يعيذنا من شر أنفسنا ومن شر الشيطان الذي إذا احتنك أحداً من العباد أفسد عليه قلبه وسلوكه.

نسأل الله أن يحفظ علينا عقائدنا ويسلمها ويزيدها صحتاً ويقينا، ويجعلنا من تعلق به في رخائه وشددته، ولا أشدّ من لحظة القبض! فاللهم كُن لنا في تلك اللحظة وأحسن خواتيمنا، واجعل ملائكتك الكرام يبشروننا ألا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون، واحفظنا من أن يتخبطنا الشيطان في تلك اللحظة العظيمة، اللهم آمين.